



توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير)

المجاهد توفيق إبراهيم، مجاهد قسامي لقب بأبي إبراهيم الصغير تمييزاً له عن المجاهد خليل محمد عيسى (أبو إبراهيم الكبير).

ولد في قرية إندرو (عين دور) قرب الناصرة. كان من أوائل المؤيدين لحركة الشيخ المجاهد عز الدين القسام، فانتظم في حركته الجهادية ليصبح فيما بعد من القادة المعدودين للحركة القسامية في الشمال الفلسطيني.

خاض أبو إبراهيم عدة معارك كمعركة عين ماهل، حيث قسم أبو إبراهيم قواته إلى مجموعتين، تولت إحداها الهجوم، وقامت الأخرى بعملية التفاف حول العدو. ورغم أن القوات الصهيونية كانت أكثر عدداً وعدة، إلا أنها لم تستطع الصمود أمام الهجوم الفلسطيني، فتقهقرت القوات اليهودية باتجاه منازل عرب الصبيح، فتابعهم المجاهد أبو إبراهيم بقواته حيث دارت معركة بالأسلحة الأبيض انتهت بانتصار المجاهدين وانهازم الصهاينة بعد أن خسروا ٢٨ قتيلاً.

وكان أبو إبراهيم من قادة معركة الشجرة فأظهر شجاعة فائقة، فوصفه أحد قادة العدو في «المجلة العسكرية اليهودية» فقال «القروري العربي الجليلي صلب العود، محارب عنيد وجريء. لقد أحسنا في منطقة شرق الناصرة بحركة قتال منظم، ولمنا اليد المحركة الخبيرة في قيادة العصابات».

واشترك أبو إبراهيم في معركة الناصرة، فاشتبك مع الصهاينة، إلا أن قواته الصغيرة المسلحة بعدد قليل من البنادق لم تستطع الوقوف أمام الهجوم الصهيوني المزود بكل أنواع الأسلحة بما فيها الطائرات.

ومن عملياته الناجحة، هجومه على مقر حاكم طبريا الإنكليزي، حيث استولى على ما فيه من ملفات وأوراق وغيرها. وقام بعدة هجمات على الدوريات البريطانية وقطع طرق اتصالاتهم.

بقي أبو إبراهيم مجاهداً حتى خروجه من فلسطين بعد النكبة، فأقام في دمشق حتى وفاته عام ١٩٦٦. رحم

الله المجاهد أبو إبراهيم وأسكنه فسيح جناته. ■

الحكم المملوكي في فلسطين

من التاريخ

حكم المماليك لفلسطين جاء بعد الحكم الأيوبي مباشرة. وقد أفلح السلاطين المماليك في تطهير بلاد الشام، بما فيها فلسطين ومصر، من بقايا الصليبيين. كما أنهم صدوا الغزوات المغولية المدمرة، تلك الغزوات التي قادها عدد من المغول المتعطشين للبطش والظلم والقتال أمثال هولاكو وتيمورلنك.

وجدير بالذكر أنه لولا الموقف القوي الذي اتخذته المماليك ضد الغزوين الصليبي والمغولي لتغير مجرى

الحوادث في كل من قارتي آسيا وأفريقيا وكذلك قارة أوروبا. وهكذا فإن التاريخ يسجل للأيوبيين وللمماليك وقفتهم هذه مدافعين عن العالم الإسلامي وحامين له.

ولم يكن السلاطين المماليك قد اهتموا بالحروب فقط، وإنما شجعوا العلم والبناء الحضاري في فلسطين وخاصة في بيت المقدس، وما زالت آثار المماليك الحضارية في فلسطين ماثلة للعيان.

فقد اهتم الظاهر بيبرس بشؤون المدينة المقدسة، فأمر بترميم قبة الصخرة المشرفة عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، وخصص سنوياً مبلغ خمسة آلاف درهم تصرف على إصلاح المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة.

وساهم الملك المنصور سيف الدين قلاوون في إصلاح سقف المسجد الأقصى وتعميره، وأنشأ في بيت المقدس المسجد القلندي، وأسس الرباط المنصوري عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وأوقفه للفقراء وزوار المدينة.

وتابع سلاطين الدولة المملوكية وأمراؤهم النهج الحضاري الذي اختطه أسلافهم، فبنوا في بيت المقدس والمدن الفلسطينية الأخرى العديد من المدارس التي كانت وقتذاك تعج بالعلماء والطلاب المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي. نذكر على سبيل المثال لا الحصر المدرسة السلامية، والمدرسة الكريمة، والمدرسة الأمينية، والمدرسة الحنبلية، وغيرها من دور العلم.

وشيد المماليك في بيت المقدس وغيرها من المدن الفلسطينية عدداً من المساجد والقصور والحمامات والنزوايا والأربطة والتكايا للحجاج القادمين لزيارة بيت المقدس من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فكان العهد المملوكي في فلسطين عهد رخاء وحضارة.

وظل الحكم المملوكي في فلسطين حتى انتصر عليهم العثمانيون في معركة مرج دابق عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وبذلك تمكن العثمانيون من دخول بلاد الشام، بما فيها فلسطين، وبدأ عهد إسلامي جديد في فلسطين هو العهد العثماني. ■